تفسير البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ للملابسة عند صاحب الكشاف، وعند البيضاوي للاستعانة، والقول بالاستعانة أولىٰ، إذْ فيه من الأدب، وإظهار العبودية، ما ليس في المصاحبة، وهذا المعنىٰ أُمِرَ بهِ المسلِم بقوله تعالىٰ: ﴿وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وتعلَّقتِ الباءُ بمحذوف، وهو هنا ما جُعلت التسميةُ مبدأً له، والأولىٰ تقديرُ المتعلق مؤخّراً، ليفيد قصد الاهتمام باسمه تعالىٰ، وليكون أوقع في التعظيم، وأدلَّ على الاختصاص، وأوفق للوجود، فإن اسمه تعالىٰ مقدَّمٌ على القراءة، كيف لا وقد جُعل آلةً لها من حيثُ إنَّ الفعل لا يتمُّ ويُعتدُّ به شرعاً، ما لم يُصدَّر باسمه تعالىٰ، لقوله ﷺ: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأُ فيه ببسم الله فهو أبترُ»[1]، وتقديرُه: «بسم الله أقرأُ» وهذا وما

---

(١) أخرجه ابن ماجه في النكاح بلفظ «كل أمر ذي بالٍ لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع» رقم ١٨٩٤ ورواه أحمد في المسند ٢/٣٥٩، وابن حبان في صحيحه رقم ٥٧٨، ومعنى «أبتر» أي مقطوع، ناقص من الخير والفضيلة، وأمّا الرواية التي أوردها المصنّف فهي من إخراج الحافظ الرّهاوي.

obeikandl.com

بعده مقولٌ على ألسنة العباد، ليعلموا كيف يُتبرك باسمه تعالىٰ، ويُحمد علىٰ نعمه، ويُسأل من فضله.

والاسم لغةً: علامة للشيء، وعرفاً: اللفظُ الموضوع لمعنى، مفرداً كان أو مركَّباً، والمرادُ بالاسم هنا: ما قابل الكناية واللَّقَب، فيشمل الصفاتِ، ليدلَّ على أن التبرُّك والاستعانة بجميع أسمائه تعالىٰ، وقد تكون الأسماء كثيرةً والمسمّى واحداً، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1].

والاسم إن أُريد به اللفظ فغير المسمى، لأنه يتألف من أصوات مقطعة ويختلف باختلاف الأمم، والمسمى لا يكون كذلك، وإن أُريد ذات الشيء فهو المسمَّى، لكنه لم يشتهر بهذا المعنى، وفي قوله تعالى: ﴿تباركَ اسمُ ربك﴾ و﴿سبِّحْ اسمَ ربك﴾ المرادُ به اللفظُ، لأنه كما يجب تنزيهُ ذاته وصفاته عن النقائص، يجب تنزيهُ الألفاظ الموضوعة لها عن الرَّفثِ، وسوء الأدب.

وإنما لم يقل «بالله» لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه، وللفرق بين اليمين والتيمن[2]، ولم تكتب الألف لكثرة الاستعمال، وطُوِّلت الباءُ عوضاً عنها، قال عمر بن عبد العزيز لكاتبه: طوِّلِ الباء، وأظهر السين، ودوِّر الميم، تعظيماً لكتاب الله عزَّ وجلّ.

﴿ٱللَّهِ﴾ اسم عَلَم خاص لله تعالى، تفرَّد به سبحانه، ولا يشركه فيه أحد، وهو الصحيح المختار، دليله قوله تعالىٰ: ﴿هل تعلمُ له سَمِيًّا﴾[3]؟ وهو عَلَمٌ على المعبود بحق، واختير لفظ الجلالة من بين سائر الأسماء، لكونه أشهر في الألسن، وأدور في الاستعمال، ولكونه مستجمعاً لجميع

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٢) التيمُّنُ: أي التبرك بذكر اسمه جلَّ وعلا.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٥.

الصفات الفاضلة، يصلح للتبرك بذكره، وكما تاهت العقول في ذاته وصفاته، لاحتجابها بنور العظمة، تحيرت أيضاً في اللفظة الدالة على الذات، والجمهور على أنَّ لفظ «الله» عربي، اسمُ عَلَمٍ مرتجل، من غير اعتبار أصلٍ منه.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من الرحمة، والرحمة رقةُ القلب والانعطاف، ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها، والرحمٰن من الصفات الغالبة، حيث لم يُطلق على غيره تعالى، وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم أو هما بمعنى واحد، كما قاله الجوهري، وهما صفتان جليلتان مشرقتان بنور الفيض الرباني، تشملان النعم، حسية أو معنوية، وإفرادهما بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة، وتقديم الرحمٰن لأنه باختصاصه به تعالى، صار حقيقياً بأن يكون قريناً للاسم الجليل.

«فصل»

البسملة آية من القرآن، أُنزلت للفصل بين السور، وقال الشافعي آية من كل سورة ما عدا براءة، فحرّم قراءتها على الجنب، والحائض، والنفساء، وهذا لو قصد التلاوة، ومذهب الجمهور أنها من القرآن، ولم تجز الصلاة بها، نظراً إلى شبهة خلاف مالك، لأنه ادَّعى عدم تواتر كونها قرآناً.

وَرَدَ الأمر بقراءة البسملة في مواضع من القرآن، كقوله سبحانه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ والبسملة تجب عند الذبح، ورمي الصيد، والإرسال إليه، ولكن يقوم مقامها كلُّ ذكرٍ خالص، ولا يأتي بالرحمن الرحيم عند الذبح، لأن الذبح ليس بملائم للرحمة، لكن في الجوهرة لو قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فهو حسن، وفي ابتداء الفاتحة في كل ركعة، قيل: تجب قراءتها لكن الأصحَّ أنها سنة، ويسنُّ في ابتداء الوضوء، والأكل،

وفي كل أمرٍ ذي بال، وتكره عند كشف العورة، أو في محل النجاسة، وعند شرب الدخان ونحوه، فمعنى «ذي بال» أي شريفٍ يُهتم به.

وفي هذا الوصف فائدتان: إحداهما رعاية تعظيم اسم الله، بأن يبتدأ به في الأمور المعتدّ بها.

والأخرى كل أمرٍ يخطر بالبال، وفي هذا إظهار عظمة الله تعالى، وحثٌ على التبري عن القوة إلا بالله[1]، نعم التسميةُ على الحرام حرامٌ، ومكروهةٌ في المكروه، إن لم يكن استخفافاً، وإن قصده والعياذُ بالله كَفَر.

---

(١) لهذه اللفظة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» سرٌّ من أسرار العظمة الربانية، والكمالات القدسية، ما يجعلها شعاراً للمسلم في جميع شؤون الحياة، يلتجىء بها إلى الله، ويحتمي بها من شرِّ كل ذي شرّ، فإن فيها ثلاثة أسماء من أسماء الله الحُسنى «الله» «الرحمٰن» «الرحيم» ولهذا رغَّبنا الرسول ﷺ أن نقولها في كل أمرٍ من أمورنا الدينية والدنيوية، تبركاً وتيمّناً باسمه تعالى.. روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ كان راكباً على دابة، وخلفه بعضُ أصحابه، فعثرت بالنبي ﷺ، فقال الذي كان رديفه: تَعِسَ الشيطانُ، فقال له النبي ﷺ: «لا تقل تَعِسَ الشيطانُ فإنك إذا قلت ذلك تعاظم وقال: بقوَّتي صرعتُه، وإذا قلت «بسم الله» تصاغر حتى يصير مثل الذبابة»!!

قال الحافظ ابن كثير: وهذا من تأثير بركة «بسم الله الرحمٰن الرحيم» ولهذا تستحبُّ في أول كل قولٍ وعمل، فتستحب في أول الخطبة لحديث «كل أمر لا يُبدأ فيه بـ«بسم الله الرحمٰن الرحيم» فهو أجذم»، وتستحب البسملة في أول الوضوء لحديث «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»، وتستحب عند الذبيحة لقوله تعالى: ﴿فكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه﴾ وأوجبها بعضهم، وتستحب عند الأكل لقوله ﷺ للغلام «قل بسم الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»، وتستحب كذلك عند الجماع، لما في الصحيحين «لو أنَّ أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهمَّ جنِّبنا الشيطان، وجنِّبِ الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولد، لم يضرَّه الشيطان أبداً». فالمشروع ذكر اسم الله في ذلك كله تبركاً وتيمُّناً واستعانة به تعالى على التقبُّل والإتمام» ا هـ. من تفسير ابن كثير بشيء من الإيجاز.